الإفراج عن عروة بن الورد

حـافـظـي بـوشـتـى

.. فى عينيه سخط وتذمر.. وفى داخله بركان يتحرك.. قدماه تطآن اوراقا يابسة .. وعلى وجهه ارتسم القهر بكل خدوشه .. تنفس هواء ناعما ثم نكس رأسه .. وتلذذ خشخشة الاوراق اليابسة .. تذكر كيف زاره الجيران البؤساء .. كانت وجوههم صفراء كخرق باليـة .. بينما برزت تحت الاثواب الممزقة أجسام نحيلة .. وفى الافواه جف الريق .. وفى البطن تشابكت خيوط الجوع .. و..

نموت جوعا .

ـ أنا ..... أنا ..... لم اذق .. منذ .. قال الشيخ وسقط ...

تنهد عروة ولعن مزمجرا كل الذين يأكلون حتى فوق الرغبة ... وانطلق عندما عاد عروة .

عندما عادت جماعة عروة .. علت البسمة وجوها شاحبة صفراء ... تمدد عروة جانبا بينما أخذت جماعته توزع أكياس الطحين و.. و.. و.. **للتو ظهر رجال كثيرون .. نحوه تسابقوا كذباب أثاره عسل طرى .. ابتسم فى وجههم . برزت انيابهم الحادة ، الطويلة . ومن السابلة لم يتجمهر أحد . وأصبح قدامهم كدمية صفراء من البلاستيك ... تدافع الرجال الكثيرون ... كونوا دائرة مكثفة . كان فى الوسط يبحلق فى هذه الجثت الضخمة المحيطة به .. فتح عينيه جيدا .. وعيونهم المحشوة بالغضب تتفرسه بحقد، بينما الاصابع تضغط على هروات ملساء تثير الرعب .. كانوا يزفرون كثيران هائجة.. ويدورون حوله .. يدورون .. بدأ يدور كذلك . يدور بعينين محمرتين جاحظتين .. حتى نزلت على رأسه ضربة عنيفة كالصاعقة .. سقط وتمرغ فى دمه ككبش .. ولم يشعر حين حملوه ورموه داخل سيارتهم التى انطلقت زاعقة وهى تبتلع شوارع المدينة . حين افاق .وجد نفسه ملقى فوق كيس التبن المملوء حتى النصف .. كيس التبن الذى أصبح يأكل فوقه وعليه يتبول ...**

ـ اسمك ؟

عـــروة بـــن الـــورد .

ـ ســـنـــك ؟

ـ سنـــوات طويلة فى القهر والمطاردة والتشـــرد

ارتطمت اليد القوية بخده الاصفر .. سعل كثيرا .. ومن فمه انساب دم شـــديـــد الحمـــرة ...

ـ سنـــك ؟

ـ ســـنـــوات طويلـــة ... المطاردة ... الـــ

الحـــذاء الثقيل يضرب فى البطن ـ الوجه ـ الظهر .. فى كل مكان.

ـ عملـــك ؟

ـ عـــــاطـــــل

ـ لا تـــحـــب العمـــل ؟

ـ لـــــم .. أجـــــد .. ه

رموه فوق كيس التبن المتعفن .. وفى الظلمة تلـــوى متألما كحيـــوان مطعـــون .. تأوه .. وحاول أن ينـــام ...

تلذذ شخشخة الاوراق اليابسة .. وقد ارتسمت بسمة ذابلـــة علـــى شفتيه المحروقتين بتبغ رخيص .. وأمامه ظهرت فتاة جميلة كحلم .. وجهها مصبوغ بعناية كبيرة .. وأطرافها حين تغمز تثير شهوة الحجر .. وعروة ينظر اليها بنهـــم .. أسنانها صافيـــة كدمعة .. وحين حاذته شم رائحـــة يعرفها جيدا .. فصاح فى أعماقـــه «ينعل دينكم القحاب» . وتابع الطريق يمضـــغ بين أسنانه كلاما مبهما .. بينما انتشرت فى جسمه شهوة فجائيـــة ...

حين تنازل له الصحاب ـ تلك الليلة ـ عن المرأة الجميلة .. فـــرح كثيرا وتحت الخيمة تصلب أمامها .. وفى عينيه حيوان الشهوة يركـــض .. ولما استلقى فوقها كجمل .. تأوهت بينما أخذ يزفر ويتحرك بعصبية ..

استدارف فلم يعثر للقحبة على أثر .. فهز كتفيه وابتسم ثانيـــة ابتسامته الذابلة حيث تتجسد أعوام المطاردة والجرى والسطو ...

صرير البا بالصدىء جعله يقفز فوق كيس التبن .. أطل السجـــان برأسه المدور كقائـــد اغريقـــى :

ـ انهـــض ...

وركله على مؤخرته بحذائه الثقيل حتى تأوه .. تعثر ونظر اليه بعينين زجاجيتين فتسمر السجان عند الزاوية كقطعة من الجليـــد ..

ـ المديـــر يطلبـــك ...

كان المدير قصيرا تتدلى كرشه فـــوق ســـروال مزرر بطـــريقـــة مضحكة .. نظر اليه عروة ثـــ منكس رأســـه وقهقه فى أعماقـــه .. تململـــل المدير الاصلع وقال بصوت مبحـــوح وغليـــظ :

ـ لقد تدخل أحد السادة العقلاء لصالحك .. وسيـــردك الـــى الجادة

لا محـــالـــة ..

كان المدير يكذب .. وعروة يعرف هذا أكثر من أى انسان آخـــر .

قال فى داخله : انا عروة بـــن الورد أشهد أننى لا أعرف أحدا يستطيع أن يمس لحمايتـــى ...

ننهـــد وانظـــر الى المدير باحتقار .. وتمنى لو كان فى استطاعته أن يشق رأســـه بفأس قديمـــة ..

ـــ لقد استطعنا اقناع اصحاب المتاجر الكبرى بأن يسحبوا الدعوى، قـــال المديـــر ..

لا يـــهـــم ، فـــكـــر عـــروة ..

ـــ اذا عدت الى هنا .. فلن تخرج أبـــدا : سأشق رأسك وسأدفنـــك وانـــت تئـــن .

نظـــر اليه بعينيه الزجاجيتين .. فارتعش المديـــر .. وأومأ اليـــه بالانصراف .

كان الشارع فى هذه اللحظة خاليا تماما .. ومـــن فـــم عـــروة انطلقت صفيرة حزينـــة .. ثم ردد بصوت مسموع : أنا عروة بن الورد أشهد أننى لا أعرف أحدا يستطيع أن يتدخل لحمايتى .. ولكنى لن أترك أحدا يعيش فى نعيـــم على حســـابـــى .

فاس ـــ بوشتى حاشى